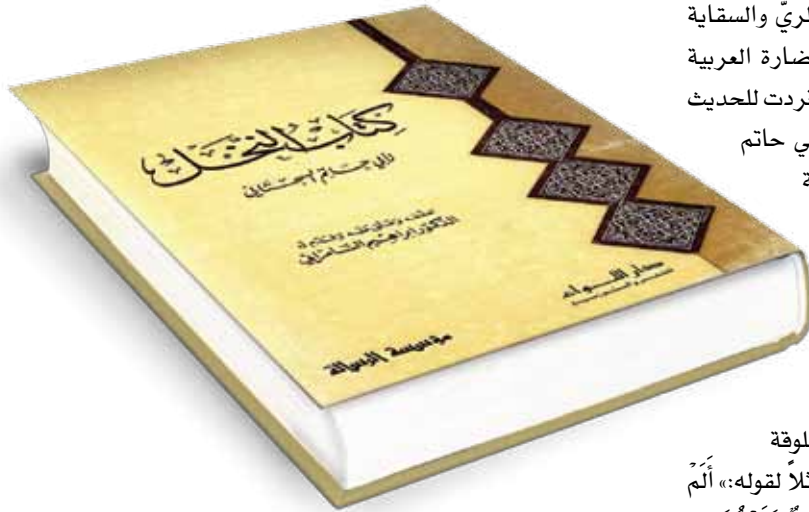


فضائل ومكانة النخلة عند السجستاني (1 - 5)

محمد السامرائي ★
m_1971@hotmail.com



حوت المكتبة العربية مُصنفات وافرة تناولت الزراعة والرّي والسقاية المتخصصة في العلوم الزراعية التي مارسها علماء الحضارة العربية الإسلامية عبر العصور الماضية، ومن أشمل الكتب التي أفردت للحديث كاملاً عن النخلة الشجرة المباركة، كتاب "النخل" لأبي حاتم السجستاني الذي يُعدُّ أحد أعلام الحضارة العربية الإسلامية، الذي ألف كتاب "النخل" المحقق الآن.

وكتاب السجستاني «النخل» حققه وعلق عليه وقدم له الأستاذ الدكتور الراحل إبراهيم السامرائي الصادر عن دار الرسالة في بيروت. وحدثنا المؤلف في هذه الحلقة من كتابه عن طائفة من فضائل

ومكانة النخلة، الذي قال عنها: النخلة سيّدة الشجر، مخلوقة

من طين آدم صلوات الله عليه، وقد ضربها الله جلّ وعزّ مثلاً لقوله: «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء». سورة إبراهيم/24، وهي قول: «لا إله إلا الله»، وهي النخلة. فكما أن قول: سيّد الكلام، كذلك النخلة سيّدة الشجر.

أكرموا عما تكلم النخلة

وذكر المؤلف قائلاً: حدثنا الأوزاعي عن عروة بن رويم، عن عليّ بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا عما تكلم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم، وليس شيء من الشجر يُلقح غيرها، وأطعموا نساءكم المولّد الرطب، فإن لم يكن الرطب فالتمر، وليس شيء من الشجر أكرم على الله جلّ وعزّ من شجرة نزلت تحتها مريم ابنة عمران، وفضّلها الله -جلّ وعزّ- بأن خلقها من طين آدم، كما فضّل رسول الله صلى الله عليه وسلم -جعفر بن أبي طالب على غيره

حين قال له في حديث طويل: «... وأنت يا جعفر، أشبهت خلقي وخلقي، وخلقت من طينتي التي خلقت منها».

وقال روح بن عبادة القيسي: حدثنا موسى بن عبيدة قال: أخبرنا عبد الله بن دينار عن أبي عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن كشجرة لا يتحات ورقها». قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة وعنده رجال من العرب فذكروا الشجر فما أصابوا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هي النخلة». فقلت لأبي: لقد وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: يا بُني، ما منعك أن تتكلم بها؟ فقلت: الحياء، وكنت من أصغر القوم سنّاً، فقال: لأن تكون «قلتها» أحب إليّ من كذا وكذا.

«كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ»

كما حدّث حماد قال: أخبرنا شعيب بن الحبحاب قال: سمعت أنس بن مالك قال: أتني النبيّ صلّى الله عليه وسلم بقناع عليه بُسْر، فقال: «مثل كلمة طيّبة كشجرة طيّبة، قال: هي النخلة»، «هي الحنظلة. فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: هكذا كنا نسمع. قال أبو حاتم: القناع: الطُّبق.

ثم قال حدثنا موسى بن عبيدة قال: سمعت محمّد بن كعب القرظي في قوله: «كلمة طيبة» قال: هي «لا اله إلاّ الله»، «كشجرة طيبة»: لا يزال صاحبها يجتني منها خيراً، صيماً أو صدقة أو حجة أو عمرة». ومثل كلمة خبيثة: هي الشرك بالله- جلّ وعزّ- لا تقبلها السماء والأرض، وليس لها قرار في السماء والأرض.

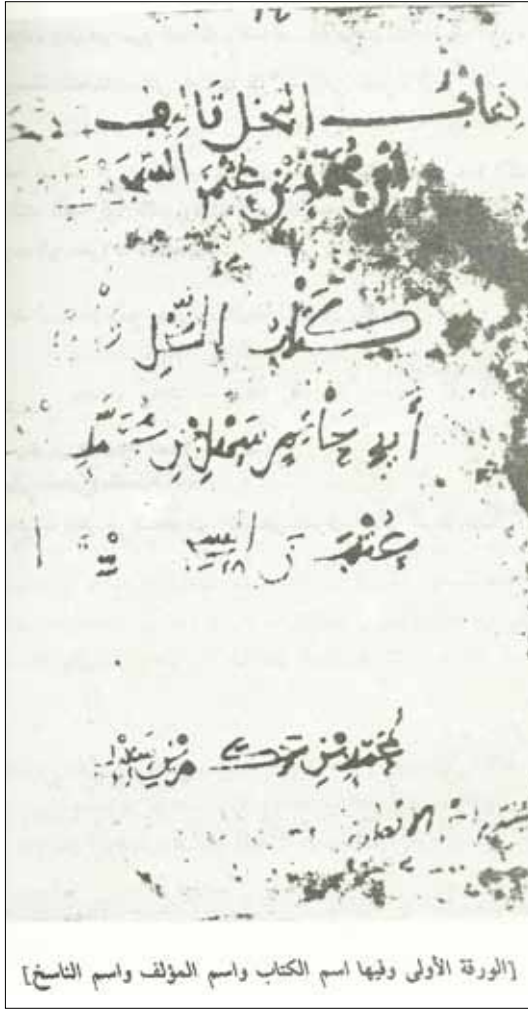
وقال المؤلف في بيان منزلة النخلة: وحدّثونا عن محمّد بن الزبير قال عن موسى بن عبيدة، عن محمّد بن كعب بمثله إلاّ أنّه قال: لا يزال صاحبها يجتني منها خيراً: صلاة، صدقة، حجة، عمرة. وعن شعيب بن الحبحاب قال: دخلت على أنس بن مالك أنا وأبو العالية فجيء

النخلة: من أحب الأشجار
لقلب الإنسان لأنها رفيق
دربه الطويل والشاق
والجميل. وكانت النخلة
أيام الشدة القلعة التي
يسند إليها ظهره ويحتمي
بها ويستريح تحت سعفها
وقامتها المتطاولة في
كبد السماء، ويأكل من
ثمرها الشهيّ ويتخذ
من سعفها وجريدها
وجدعها فرشاً وسكناً من
هجير الصحراء وبرد الشتاء.

برطب على طبق فقال: كل يا أبا العالية، فإنّ هذه من الشجرة التي ذكرها الله -جلّ وعزّ- في كتابه وقرأ: «: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ » سورة إبراهيم/24. قال كذا قرأها أنس، «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتنّت من فوق الأرض ما لها من قرار»، سورة إبراهيم/26. قال هي الحنظلة. ألم تر إلى الريح كيف تصفقها يميناً وشمالاً.
«تؤتي أكلها كل حين»

وأضاف السجستاني في روايته عن فضائل النخلة أنّ روح قال: حدثنا سعيد عن قتادة قال: كنّا نحدث أنها النخلة» تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون»، سورة إبراهيم/25. قال والحين ما بين السبعة والستة، وهي النخلة تؤتي أكلها شتاءً وصيفاً. ومثل «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتنّت من فوق الأرض ما لها من قرار»، سورة إبراهيم/26. قال قتادة: لقي رجل رجلاً من العلماء فقال: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ فقال: ما أعلم لها في





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وسلم .

قال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني - رحمه الله - :

النخلة سيده الشجر، مخلوقة من طين آدم - صلوات الله عليه - . وقد ضَرَبَهَا اللهُ - جَلَّ وَعَزَّ - مثلاً لقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾، فقال - تبارك وتعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾^(١)، وهي قول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٢)، وهي النخلة .

فكما أن قول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ سيّد الكلام، كذلك النخلة سيّدة الشجر .

حدثنا شيان بن فروخ الأبلبي الأجرني^(٣)، قال: حدثنا مسرور بن

(١) ٢٤ سورة إبراهيم .

(٢) تمة الآية .

(٣) كذا في «وخ» ومصادر الرجال ، وأما في «م» فقد صحفه المحقق إلى «مات» . وهو شيان بن فروخ ذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٤ / ٣٧٤ ، وفي «التبصرة» ١ / ٣٣ ونعته بـ «شيخ مسلم» .

تبارك وتعالى، تفضيلاً لهما، كما قال: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ»، سورة البقرة/98، تفضيلاً لهما على سائر الملائكة. وكما قال - تعالى ذكره-: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ»، فأجمل النبيين، ثم قال: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ»، سورة الأحزاب/7. فأفردهم تفضيلاً، لهم على سائر الملائكة.

قال أبو حاتم: جبريل وميكائيل من صفوة الملائكة ومن صفوة الرُّسُل، وقال - جَلَّ وَعَزَّ: وهؤلاء الخمسة الأنبياء من المُصْطَفَيْنِ. وقال - جَلَّ وَعَزَّ-: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا

الرازي، عن الشيباني، عن عكرمة قال: الطيبة: النخلة، والخيبة: الحنظلة. وحدثني أبو زيد عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جببر عن ابن عباس، قال: الطيبة النخلة. وحدثونا عن شريك عن السُّدِّيِّ عن مَرَّةَ عن ابن مسعود، قال هي النخلة. قال أبو حاتم: وثمر النخلة سيّد كل ثمرة، وكذلك ثمر الرِّمَّانِ .
« فيها فاكهة ونخل ورمان »

وقال قوم لا علم لهم بكلام العرب: ليس النخل ولا الرمان من الفاكهة حين سمعوا قول الله - جَلَّ وَعَزَّ-: « فيها فاكهة ونخل ورمان»، سورة الرِّحْمَنِ/68. فغلطوا، وإنما ذكرهما الله

الأرض مُستقراً، ولا في السَّماء مصعداً، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يواظب بها يوم القيامة. وحدثونا عن معمر، عن قتادة قال: يذكرون أنها النخلة يُؤكل ثمرها في الشتاء والصيف .

وقال حدثنا أبو زيد الأنصاري عن مجاهد قال: هي النخلة تُؤتي أكلها كل حين، قال: كل سنة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «تُؤتي أكلها كل حين بإذن ربِّها»، قال غدوة وعشية. وروى ابن عباس قائلًا: والحين: غدوة، والحين: عشية. وحدثونا عن سفيان الثوري عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال في شجرة خبيثة: «أتجدونها فوق الأرض؟ إنما هذا مثل. وحدثونا عن جرير بن عبد الحميد



خَلَقَ، سورة الفلق/ 1 - 2. فأجمل ثم أفرد: «
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ
إِذَا حَسَدَ»، سورة الفلق/ 4 - 5.

وأردف أبو حاتم: هذا تفضيل رب العالمين
للنخلة، جعلها مرة مخلوقة من طينة آدم،
تفضيلاً لها، كما فضل النبي صلى الله عليه
وسلم جعفرأ حين قال: إنه مخلوق من طينتي،
ومرة قابل بها قول «لا إله إلا الله»، وهي أفضل
كلمة في السموات والأرضين. وأجمل الله
تبارك وتعالى، الفاكهة ثم أفردها والرمان
كما أفرد صفوة الملائكة وشفوة الرسل بعد
أن أجملهم وقرن الرمان بالنخل لأنه جاء في
الحديث: «إن في كل رمانة حبة من الجنة».

فأبعدكن الله من نخلات

ومما يدل أن النخل من الشجر قول جثمة
البيكائي، وكان يخاف عليه في خرص لنخل
فيه:

إذا كان هذا الخرص فيكن دائماً

فأبعدكن الله من نخلات

فأخبث طلع طلعتن لأمله

وأنكد ما خبرت من شجرات

وكانت أم الهيثم الأعرابية، واسمها غنية،
تنشد:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى

فأبعدكن الله من شيرات

تريد: من شجرات، إلا أن لغتها أن تبدل
الجيم ياء وتكسر الشين فتقول: شيرة. فقلت
لها: كيف التحقير؟ فقالت: شيرة. وقالت:
بالطائف شيرة فيها شفاء من سبعين داء
تسمى: «الشكاعى». وقال ابن أحرر الباهلي:

شربت الشكاعى والتددت ألدّة

وأقبلت أفواه العروق المكاويا

ومما كرم الله تبارك وتعالى به أهل الإسلام،
وكرم به النخل أنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل
الإسلام فغلبوا عليه وعلى كل موضع فيه نخل،



له: قسطنطينية، ثم حتى يبلغ وادي طيب بقرب مصر، وهو واد فيه مسيرة أيام كثير النخل، ويقال: مسيرة شهر وأكثر. وأصله من نوى سَقَطَ ثم، فالبربر ومن حوله يعيشون منه، ولا يُلْقَح وتأكله دوابهم وإبلهم ويُلْبَنُونه، في كل لبنة أرطال كثيرة وبيبعونه. ثم بمصر من النخل شيء يسير إلى القلزم، ثم بالشام بالغور نخل كثير ببيسان والطبرية الغور، فإن بهن أدقلاً كثيرة فائقة يحمل منهم إلى الخلفاء، وكلهم في بقعة، قريب بعضهم من بعض، ثم ليس بالشامات ولا الجزيرة شيء منه. ثم في بلاد اليمن، في مواضع كثيرة إلى عُمان ونواحيها نخل كثير، ثم في جبلي طي نخل كثير جداً،

والفرنجة والخزر، وألوان الترك وألوان البيضان من أهل الشرك. وكذلك الهند إلى أقصى الصين وخلف الصين مسيرة سنة وأكثر. حدثنا من وطئ ذلك أجمع وسار نحو من سنة في ماء عذب يؤديه ملك إلى ملك، قال: ورأيت عندهم من الأرز شيئاً مثل نوى القريناء يتخذون منه أجود قَبَاط وأحلاه، وذكر كثرة الموز في بلدانهم.

النخل قدرة الله -جل وعز- للعرب وإنما النخل قدرة الله -جل وعز- للعرب في جزيرة العرب وفي المشرق، ومنه شيء في المغرب، وأكثره في العراق، فالذي بالمغرب بإفريقية على خمس ليال، منها بموضع يقال

وليس في بلاد الشرك منه شيء.

وذكر أن الأصمعي اللغوي حدثه عن النمر بن هلال، عن قتادة، عن أبي الجلد، وكان قد قرأ الكتب، قال: الأرض كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ، فالسودان منها اثنا عشر ألف فرسخ، والروم ثمانية آلاف، والفرس ثلاثة آلاف. فليس في بلاد السودان كلها ولا بلاد البيضان المشركين شيء من النخل.

والسودان: الحبش والزنج والتوبة والفران، وضروب كثيرة في سودان المغرب الذي خلف تاهرت في بلاد حرّ يقال لهم: «الكوكو»، ثم خلفهم البكم من السودان: قوم لا يفقهون لا يفقهون. وأما الروم فمنهم الصقالبة والأبر

وإذا شارفت الكوفة وبغداد إلى حلوان ثم من القلزم إلى المدينة إلى مكة وما حولهما نخل كثير إلى بلاد هذيل. ثم من مكة إلى ذات عرق إلى مران إلى القريتين، إلى النجاج إلى اليمامة، إلى بلاد بني سعد إلى وبار الرمل إلى قبائل بني تميم في البدو وقبائل قيس عيلان. ثم إلى البحرين هجر والقطيف وبلاد اليمامة نخل كثير جداً وحوالي بلادها نخل كثير لبني نعيم وبني قشير، ولباهلة ولبني ضبة وبلغنبر ولبني سعد في تلك الرمال وحواليها نخيل كثيرة في مواضع كثيرة، وليس بين اليمامة وصنعاء إلا مسيرة أيام بسيرة، إلا أن الطريق بينهما وعراً مخوف، ثم بعمان نخل كثير، ثم نخل البصرة أظنه مثل نخيل الدنيا مراراً سمعت الأصمعي يقول: سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول: «نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغان ثمن نخل البصرة».

كل موضع يتلج لا نخل به

ثم كور الأهواز ببعضها نخل، وليس ببعض شيء وفارس وكرمان بمواضع كثيرة منها نخل، ليس بكل موضع، لأن كل موضع يتلج لا نخل به، ثم بسجستان نخل كثير حول المدينة، وفي رسايقها نخل مسيرة أيام إلا في جبالها على رأس نحو من خمسين فرسخاً من المدينة، وهي زرنج، و زرنج قصبه بسجستان، فإن الثلج يقع بها فلا نخل لها. ثم انقطع النخل بعد سجستان، وليس ببلاد خراسان كلها نخلة، وكذلك أصبهان وهمدان والري وقومس والجبال كلها، إلا أن بجرجان نخلات لا ينتفع بهن لأن جرجان على شاطئ البحر، ولكن خراسان وجميع بلاد الثلج فيها فواكه عجيبة وكروم ألوان وكثيرى ألوان وكشمش وجوز وفستق ولوز وألوان من البطيخ عجيبة.

ومما فضل الله - تبارك وتعالى - به النخل أن الفواكه كلها تكون في بلاد النخل، ولا يكون في كل بلاد الفواكه، ويكون الموز في بلاد النخل، ولا يكون في غير بلاد النخل، وهو من أفضل

الفواكه. ويقال: إن الموز لا عجوله، ورب بلاد نخل لا موز فيها.

الحبلة خير أم النخلة؟

كذلك روى الكوفيون عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن أبيه عن عمر: أنه سأل رجلاً من أهل الطائف: الحبلة خير أم النخلة؟ يعني شجرة الكرم فقال الطائفي: الحبلة أتريبها وأتسننها وأصلح بها برمتي، يعني الخل، وأنا في ظلها. فقال: لو حضرك رجل من أهل يثرب لرد هذا عليك. قال: فدخل عبد الرحمن بن محسن الأنصاري، ويقال: بل أبو عمرة بشير بن عمرو بن محسن النجاري فأخبره عمر خبر الطائفي فقال: ليس كل ما قال، إنني إن أكل الزبيب أضرس، وإن أدعته أعرث، ليس كالصقر - الدبس - في رؤوس الرقل - الطوال - الراسخات، أو قال: الراسيات في الوحل المطعمات في المحل يعني الجذب، تحفة الكبير وصمته الصغير، وزاد المسافر، ونضيج فلا يعنى طابخاً، نحرش به الضباب بالصلعاء وتخرسه مريم بنت عمران. فقال عمر رضي الله عنه: ما أراك يا أبا أهل الطائف إلا قد غلبت.

تحضر فتكون كالزمرد الأخضر

وقال الشعبي: أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد،

فإن رُسلي أخبرتني أن قبلكم شجرة تخرج مثل أذان الفيلة، ثم تشق عن مثل الدر الأبيض، ثم تحضر فتكون كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت، ثم تنضج فتكون كأطيب فالودج أكل، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رُسلي صدقتني فإنها من شجر الجنة.

فكتب إليه عمر «رضي الله عنه»: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم: السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإن رسلك قد صدقتك، وإنها الشجرة التي أنبتها الله - جل وعز - على مريم حين نَسَت بعيسى، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله.

وقال حفص بن عمر أبو عمر الضريير، فقال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله - جل وعز - : قال: كرام النخل، كما قال: حدثنا يزيد بن زريع عن عمران بن حدير، عن عكرمة في قوله - جل وعز - : «وحدات غلباً»، قال: «حدات غلاظ، ألا ترى أنه يقال للرجل الغليظ الرقبة: «أنه لأغلب الرقبة».

المصدر:

أبو حاتم السجستاني: «النخل»، حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، دار اللواء للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

